Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جلال الغروب؟ والغروب في مصر أبرع جمالاً منه في أي قطر آخر، وهو يبرز على أبدع ما يكون للسائر في قطار حلوان. مشهد رائع لا ينساه حياته من رآه مرة واحدة. فيه تبدو الأهرام كأنها ما تحجَّر من فؤاد الأيام وبُعدُها في أطراف الأفق يكسبها جمالاً غريباً شفافاً كجمال الأحلام.

على أن اغتباطي بمنظر الغروب في ذيّاك المساء لم يكن ليلهيني عما ينتظرني من جديد ولا ليحبس عن ذهني أسئلة تتعاقب على فكر المرء قبيل اجتماعه بشخص غريب. إنما نحن نميل إلى الغريب ونميل عنه في آن واحد. وإذا دنت لحظة موعد ضُرب بينه وبيننا للمرة الأولى فإننا لا ننفكُّ متسائلين على غير ارادة (وغالباً على غير معرفة) منا: «تُرى كيف هو؟ على أي قرار يوقّع نغمة صوته، وإلى أي الألوان يقرب لون عينيه؟ كيف يبتسم ويتكلم ويتحرك؟ بل كيف يفتكر، وأي الأفكار متغلب عليه، وعلى أي الأساليب تتكوّن الفكرة في خاطره؟ تُرى هل يتفاهم منا الروحان بلغتهما المختلفة عن لغة الشفاه الاصلاحية، أم نحن الساعة ملتقيان ليعلم كلٌّ منا أننا لسنا من وطن معنوي واحد وأن بين مزاجينا هوة لا يزيدها التعارف إلا اتساعاً»؟

أسئلة إنما ينحصر الجواب عنها جميعاً في النظرة الأولى التي يتبادلها الغريبان رجلين كانا أو إمرأتين أو رجلاً وإمرأة، أو خادماً ومخدوماً، أو نظيراً ونظيراً، أو كبيراً وصغيراً. وتلك النظرة تُسفر دائماً عن إحدى عاطفتين اثنتين تتفاوت من كلٍّ منهما الدرجات: فإما انجذاب وإما تقلُّص، والانجذاب ميل والتقلُّص نفور.

كنت أتدرّج من هذه الأسئلة إلى غامض المعاني التي يحاول علماء النفس استكناهها وأردفها بهذا السؤال الواضح: «أهذه المرأة التي سأصافحها بعد هنيهة هي الباحثة التي تنشر على الناس أفكارها، أم صدق الزاعمون أن ليس لها من فصولها إلا التوقيع كما هي الحال عند بعض السيدات الشرقيات